

التحرير والتنوير

وقوله (فسا فر إلى الروم) مبني على اعتقادهم أن الكهف كان حول مدينة " أفسوس " " بالفاء أخت القاف " وهو وهم حصل من تشابه اسمي البلدين كما نبهنا عليه آنفا فإن بلد " أفسس " في زمن الوثائق لا تزال في حكم قياصرة الروم بالقسطنطينية ولذلك قال بعض المؤرخين : إن قيصر الروم لما بلغته بعثة الجماعة الذين وجههم الخليفة الوثائق أمر بأن يجعل دليل في رفقة البعثة ليسهل لهم ما يحتاجونه . أما مدينة " أبسس " " بالباء الموحدة " فقد كانت حينئذ من جملة مملكة الإسلام .

قال ابن عطية : " وبالأندلس في جهة " غرناطة " بقرب قرية تسمى " لوشة " كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة وأكثرهم قد انجرد لحمه وبعضهم متماسك وقد مضت القرون السالفة ولم نجد من علم شأنهم إثارة ويزعم الناس أنهم أصحاب الكهف دخلت إليهم ورأيتهم سنة أربع وخمسمائة وهم بهذه الحال وعليهم مسجد وقرب منهم بناء رومي يسمى الرقيم كأنه قصر محلق " كذا بحاء مهملة لعله بمعنى مستدير كالحلقة " وقد بقي بعض جدرانها وهو في فلاة من الأرض حزنة وبأعلى حضرة " أغرناطة " مما يلي القبلية آثار مدينة قديمة رومية يقال لها مدينة " دقيوس " وجدنا في آثارها غرائب في قبورها ونحوها " اه .

وقصة أهل الكهف لها اتصال بتاريخ طور كبير من أطوار ظهور الأديان الحق وبخاصة طور انتشار النصرانية في الأرض .

وللكهوف ذكر شائع في اللوذ إليها والدفن بها .

وقد كان المتنصرون يضطهدون في البلاد فكانوا يفرون من المدن والقرى إلى الكهوف يتخذونها مساكن فإذا مات أحدهم دفن هنالك . وربما كانوا إذا قتلوهم وضعوهم في الكهوف التي كانوا يتعبدون فيها . ولذلك يوجد في رومية كهف عظيم من هذه الكهوف اتخذها النصارى لأنفسهم هنالك وكانوا كثيرا ما يستحبون معهم كلبا ليدفع عنهم الوحوش من ذئاب ونحوها . وما الكهف الذي ذكره ابن عطية إلا واحد من هذه الكهوف .

غير أن ما ذكر في سبب نزول السورة من علم اليهود بأهل الكهف وجعلهم العلم بأمرهم أمانة على نبوة محمد A يبعد أن يكون أهل الكهف هؤلاء من أهل الدين المسيحي فإن اليهود يتجافون عن كل خبر فيه ذكر للمسيحية . فيحتمل أن بعض اليهود أووا إلى بعض الكهوف في الاضطهادات التي أصابت اليهود وكانوا يأوون إلى الكهوف . ويوجد مكان بأرض سكرة قرب المرسى من أحواز تونس فيه كهوف صناعية حقق لي بعض علماء الآثار من الرهبان النصارى بتونس أنها كانت مخابئ لليهود يختفون فيها من اضطهاد الرومان القرطاجنيين لهم .

ويجوز أن يكون لأهل كلتا الملتين اليهودية والنصرانية خبرا عن قوم من صالحهم عرفوا بأهل الكهف أو كانوا جماعة واحدة ادعى أهل كلتا الملتين خبرها لصالح ملته . وبني على ذلك اختلاف في تسمية البلاد التي كان بها كهفهم .

قال السهيلي في الروض الأنف : وأصحاب الكهف من أمة عجمية والنصارى يعرفون حديثهم ويؤرخون به اه . وقد تقدم طرف من هذا عند تفسير قوله تعالى (ويسألونك عن الروح) في سورة الإسراء .

(إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا [10]) (إذ) طرف مضاف إلى الجملة بعده . وهو متعلق ب (كانوا) فتكون هذه الجملة متصلة بالتي قبلها .

ويجوز كون الطرف متعلقا بفعل محذوف تقديره : اذكر فتكون مستأنفة استئنفا بيا نيا للجملة التي قبلها . وأيا ما كان فالمقصود إجمال قصتهم ابتداء تنبيها على أن قصتهم ليست أعجب آيات الله . مع التنبيه على أن ما أكرمهم الله به من العناية إنما كان تأييدا لهم لأجل إيمانهم . فلذلك عطف عليه قوله (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) . وأوى أويا إلى المكان : جعله مسكنا له فالمكان : المأوى . وقد تقدم عند قوله تعالى (أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) في سورة يونس .